آليات قراءة رأس المال بين وهم الفكر وملامسة الواقع

(دراسة لقراءة فلسفة ماركس)

م. د. محمد هاتو عزيز

كلية الآداب- جامعة بغداد

الكلمات المفتاحية: رأس المال. الفكر. فلسفة ماركس

الملخص

أسس ماركس قراءة جديدة لرأس المال على أنقاض رأس المال الإنكليزي لدى آدم سميث وريكاردو، وقد تميزت القراءة الجديدة لرأس المال، بأنها أدركت بعض الزوايا المعرفية التي أخفيت عن علماء الاقتصاد الإنكليز، كما تميزت تلك القراءة لماركس في تتبع واكتشاف السلطة المعرفية المتغلغلة داخل النص، التي عملت على تقنين وتحديد وإقصاء ما يجب أن يقال في حقيقة رأس المال، ويرجع الفضل في هذا الاكتشاف والتطور في قراءة رأس المال إلى تأثر ماركس بالعلوم الطبيعية التي رفعت عن عينه غشاوة البقاء تحت تأثير الأديولوجيات والأفكار الميتافيزيقية، ولكانت فلسفته تعبر عن فلسفة الحضور الميتافيزيقية، لا فلسفة الواقع الفعلي.

ماركس وآليات البحث عن الواقع

كانت البداية الأولى – مع هيجل – قبل وعي الانفصال بين الواقع ومعرفة الواقع ولكن كيفية هذا الانفصال لم تتم في المراحل الأولى من تفكير ماركس (الشاب) وإنما اكتملت في مرحلة النضوج الفكري عندما لم يعد للاديولوجية الألمانية وجود يذكر في تفكير ماركس. واذا أردنا معرفة الكيفية التي تم بها هذا الانفصال عن الأفكار الميتافيزيقية، لابد لنا من معرفة الحقب التي مر بها هذا الفيلسوف قبل أن ينفصل عن الميتافيزيقا ، هذه الحقب نلخصها بما يأتي:

الحقبة الأولى: ماركس الشاب (1840-1845) وتنقسم الى مرحلتين :

أ. مرحلة ليبرالية عقلانية : وتشتمل على جميع المقالات التي كتبها ماركس على صفحات الجريدة (الرينانية) من سنة 1840 إلى سنة 1842 . كان ماركس خلالها

متأثراً بكل من (كانْط) و (فختـه) وكان صاحب نزعة إنسانية أخلاقية[1]. كان ماركس في هذه الفترة يمثل الشعور في مرحلتي اليقين والإدراك الحسي الذي تتطابق فيه السماء مع الأرض في النظريات الأخلاقية .

ب. مرحلة اجتماعية عقلانية : وهذه المرحلة امتدت من سنة 1842 إلى سنة 1845 وكان ماركس خلالها متأثراً بنزعة إنسانية انثروبولوجية ذات طابع فيورباخي[2].

أثرت فلسفة فيورباخ تأثيرا عظيماً في تكوين آراء ماركس وأنجلز الفلسفية، فالنقد الحار والساطع الذي يوجهه فيورباخ إلى المثالية الهيجيلية قد ساعدهما بالانفصال عن المثالية الفلسفية والوقوف نهائيا في صف المادية[3].

ولكن كانت لأنثروبولوجيا فيورباخ جانبها السلبي لأنها عندما تحاول معالجة مسائل الحياة الاجتماعية فان مثاليتها في فهم الحياة والمجتمع تظهر بصورة تجريدية بحيث يبدو الإنسان فيها عبارة عن ماهية مجردة لا حياة فيها[4] .

توصف هذه المرحلة من حياة ماركس بمرحلة الشعور الرواقي الذي ينظر إلى العالم من خلال كلمات براقة ومجردة .

الحقبة الثانية: تطور روح النقد عند ماركس ، وتنقسم هي الأخرى إلى مرحلتين :

أ. مرحلة الاختمار الفكري، وتمتد من سنة 1845- إلى سنة 1857 ، وهي المرحلة التي كتب فيها ماركس (بؤس الفلسفة) و (البيان الشيوعي) و (العمل المأجور ورأس المال). وجميع هذه الكتب تشهد بان ماركس كان بصدد تحديد إشكالية جديدة وتعميقها مع الاهتمام بوضع مقولات علمية دقيقة ونسق من المفاهيم الملائمة لرؤية الواقع الخارجي.

وبهذه الروح النقدية ؛ كانت الأهمية التي علقها ماركس في المقدمة العامة لعام 1857، بصدد كيفية البدء بمسالة العلم ، والصفة الأساسية لهذا السؤال نجد تأكيدا لها في رأس المال وعلى هذا النحو مثلا حينما ينقد ماركس (ادم سميث) في الكتاب الثاني من رأس المال، فانه يعلن أن منبع أخطائه وتناقضاته ينبغي أن يبحث عنها في ((نقاط بدئه العلمية))[5]. هذا يشكل برهاناً واضحاً على اهتمام ماركس بإدخال مسائل العلم في الميادين الفلسفية والاقتصادية.

إن السؤال الأساسي الذي يطرح على ماركس، والذي يطرحه ماركس على نفسه. هو أنه، كيف ينفلت ماركس من تعلقه بالميتافيزيقا ؟ وكيف يوفق في فصل علاقة الواقع بالأفكار حول الواقع، هل أن سلوك الموضوعات العلمية أيسر له لكي يكون بإمكانه رؤية الواقع بعيداً عن التأثر بالمفاهيم المتعالية التي تحدث داخل الرأس؟ خصوصاً عندما حاول ماركس الخروج من مفاهيم النزعة الإنسانية التي جردت

الإنسان من واقعيته أي بفصله عن ماهيته، وهي مفاهيم كان ماركس الشاب قد تأثر بها وقد استنتج في المرحلة الثانية من تطوره العلمي بأنها مفاهيم عامة عن علاقات الإنسان بالطبيعة وبالإنسان، وهي تحيلنا إلى الذاتية الإنسانية والذاتية المشتركة وعن علاقات قائمة بين الذوات [6] .

أدرك ماركس أن أهم القضايا التي يمكن الالتفات إليها ، هي محاولته تحليل نظرية فيورباخ الانثروبولوجية بإيجاد مناسبة للفصل بين واقعية التفكير وبين مثاليته ، أو البحث عن قرينة تعطيه التبرير العلمي الصحيح لهذا الفصل ، حاول أن ينظر إلى الأفكار التي تدور في الذهن على أنها موضوع داخل الذات ، ومن ذلك ميز بين موضوعين : الموضوع الواقعي الذي له وجود خارج الذات مستقل عن عملية المعرفة ، وموضوع المعرفة (ماهية الموضوع الواقعي) التي تتميز تمييزاً تاماً عن الموضوع الواقعي [7] .

تعد تلك النظرية التي تم فيها الحوار بين ماركس ومؤلفات فيورباخ خصوصاً في مقالته (قضايا عن فيورباخ والايديولوجيا الألمانية) أعطت لماركس فرصة لفهم اللعب بلفظتي (الواقع) و(المشخص) لعباً دائماً هو في أساس سلسلة من الالتباسات التي تعاني الفلسفة من نتائجها المتأخرة [8] .

يذكر التوسير في قوله : ((إن كل خاصية كلمة (مشخص) تستنفذ فعلاً في استعمالها النقدي ، من دون ان تكون قادرة على إقامة أسس أي معرفة ... لقد كان بإمكاننا ان نلاحظ ذلك من قبل فيورباخ الذي حاول يائساً ان يتحرر من الايدولوجيا بلجوئه إلى ((المشخص، أي إلى المفهوم الإيديولوجي الذي يخلط بين المعرفة الوجود)) [9] . فقد حذر سبينوزا من مغبة الوقوع بما ندعوه بالاختيارية الوثوقية الكامنة في المثالية الديكارتية ، من أن موضوع المعرفة متميز ومختلف في ذاته تمييزاً واختلافاً مطلقين من الموضوع الواقعي [10] .

إن الانفصال بين (الواقع) و (معرفة الواقع) قد جرد ماركس من التباسات كثيرة وأزاح عن طريقه بعض العقبات التي تحجب البصر عن رؤية أصل المعرفة. وهذا الأصل هو العود الأبدي الذي تنهل منه المعرفة روافدها ، وهو الأثر غير القابل للتشتيت الذي تحدث عنه (دريدا) بعد رفض الانزياحات الفكرية داخل منظومة الألفاظ واللعب المأساوي في دائرة الوجود.

وبمناسبة ذلك لحديث حول الانفصال بين الواقع ومعرفة الواقع، اكتشف (دريدا) على سبيل المثال، إن القراءة النصية للايديولوجيات هي نوع من الانحراف البدائي باتجاه المجاز والتحول الرمزي والذي تقنعه اللغة عبر خطأ في الفكر، بمعنى أن

القراءة الأولى لماركس كان للأفكار الآديولوجية السابقة على ذهنيته تؤسس حضورا مؤثرا على مشروعه الانفصالي [11] .

ومن هنا لابد من القول أن ماركس هو أول من نبه على وجود مثل هذه الضلالات الفكرية التي ظهرت في الكتابات الفلسفية والاقتصادية داخل المجتمعات البورجوازية التي انطلقت في إيصال فلسفتها من المطابقة الفعلية إلى ما هو سماوي أي إلى ما هو ديني لتضفي نوعاً من القداسة على مشروعها القائم آنذاك.

فقد وجه ماركس في كتابه (بؤس الفلسفة) نقدا لاذعا لعلماء الاقتصاد الألماني خصوصا إلى الاقتصادي الألماني (بدرودبرتوس) وعلماء الاقتصاد الفرنسي وكان احد رواده الاقتصادي (برودون) وقد ذكر ماركس اخطاء كل من هذين العالمين عندما قال : ((إن برودون وهو غير قادر ان يتبع حركة التاريخ الحقيقية كان ينتج خيالات ويدّعي انها ديالكتيكية ... كان عنده ميل طبيعي للديالكتيك ، ولكنه بما انه لم يفهم الديالكتيك العلمي الحقيقي لذلك لم يتمكن من ان يكتب الا سفسطة، وهذه السفسطة قوبلت بنظرية البورجوازية الصغيرة)) [12] .

يمكن إدراك التغير الفكري الذي طرأ على ماركس بصورة جلية في نظريته الحاسمة حول عملية الفصل بين التاريخ كواقع خارجي وصراع بين الطبقات ، والتاريخ ككلية فكرية تتصادم فيه ماهيات الأشياء ، وقد جسد هذا الفصل حقيقة في كتابه البيان الشيوعي فقال: ((إن تاريخ كل مجتمع إلى يومنا هذا لم يكن سوى تاريخ نضال بين الطبقات ، فالحر والعبد والنبيل والعامي ، والسيد الإقطاعي والقن، والمعلم والصانع، أي باختصار المضطَهدون والمضطِهدون كانوا في تعارض دائم وكانت بينهم حرب مستمرة تارة ظاهرة وتارة مستمرة ، حرب كانت تنتهي دائما إما بانقلاب ثوري يشمل المجتمع بأسره وإما بانهيار الطبقتين المتناضلتين معا))[13] .

إن من مزايا هذا النص الماركسي تلك التقابلات التي يقيمها ماركس والتي تمثل العناصر الأساسية التي تشكل البناء التحتي للمجتمع والذي يتركب من هذه الأزواج الواقعية . وهي رؤية واقعية لماركس وكشف لما آلت إليه المجتمعات من جراء خطيئة تمسكت بها المجتمعات والتي يجب عليها تقديم التضحية لها أي خطيئة التراكم البدائي .

((إن التراكم البدائي يضطلع في الاقتصاد السياسي بدور يماثل تقريباً دور الخطيئة الأصلية في اللاهوت : فان آدم أكل التفاحة فدخلت الخطيئة الجنس البشري، وحين يفسرون هذا التراكم يحكمون عنه كأنما عن نكتة تاريخية حدثت في الأزمنة الغابرة ، ففي قديم الأزل كان يوجد من جهة محبون للعمل او في المقام الأول،

مختارون عاقلون مقتصدون ، ومن جهة أخرى صعاليك كسالى يبذّرون كل ما عندهم وحتى أكثر من ذلك صحيح إن الأسطورة اللاهوتية عن الخطيئة الأصلية تروي لنا كيف حكم على الإنسان أن يأكل خبزه بعرق جبينه ، أما تاريخ الخطيئة الأصلية الاقتصادية ، فانه يبين لنا كيف أمكن أن يظهر ناس لا حاجة لهم على الإطلاق إلى مثل هذا الكدح، ولكن الأمر سيان . وهكذا حدث أن الأوائل كدسوا الثروة بينما لم يبق للأواخر في آجر المطاف ما يبيعونه غير جلودهم بالذات ، والى زمن هذه الخطيئة الأولى ، يعود كل من منشأ فقر الجماهير الواسعة التي ليس لها بعد ما تبيعه ، رغم كل كدحها ، غير نفسها بالذات ، ومنشأ غنى القلة من الناس الذي يتعاظم باستمرار مع أنهم كفوا عن العمل من زمان بعيد . ومثل هذه الحكايات السخيفة يردد مثلا السيد (تيير) [*] على مسامع الفرنسيين الأذكياء وأي ذكاء فيما مضى ، بغية تبرير الملكية ، بل يرددها بمهابة وجدّ رجل الدولة)) [14] .

يعد هذا النص من الانجازات الفكرية الرائعة الذي يظهرها ماركس عندما صنف فيه عناصر المجتمع على هيئة مرتبة من الأزواج التي يقابل كل زوج من هذه الأزواج عصراً ومرحلة من مراحل تطور المجتمع من جهة الاقتصاد السياسي الى ظهور الرأسمالية بشكله الظاهر في المجتمع البورجوازي ، يمثل مشروع ماركس وتهيئه لبدأ مرحلة نضوج علمي قائم على فهم الآليات التي واجه بها علماء الاقتصاد السياسي الحياة وطريقة فهمهم لها على هيئة ماهية مجردة داخل مفاهيم قارة غير قابلة للحركة .

إن الخزين الفكري داخل هذا النص وفر لماركس المادة المدروسة التي سيقيم تجربته الفكرية عليها بمواجهته الحياة والكشف عن الأسس الأولى التي أدت بالاقتصاد العالمي أن ينهار وتكون ضحيته جماهير غفيرة بأن تحرم من ابسط حقوقها وهي ملكيتها لوسائل الإنتاج أي ملكيتها لقوة عملها التي حرمت منها تحت تأثير من الجهات الخاصة ، وأيضا لا ننسى تأثير الجهل الذي جعل العامل الأجير لا يميز بين بيع قوة عمله وملكية هذه القوة . إن الوعي الشقي ينبع من هذه اللحظة التي يكون فيها ماركس قد انتمى إلى عصور عبودية العامل الأجير ، خصوصاً عندما يكتشف أن عبودية العامل كانت نقطة انطلاق التطور الذي انشأ العامل الأجير والرأسمالي على السواء ، وقد تجلى هذا في تغيير شكل استعباد العامل وفي تحويل الاستثمار الإقطاعي إلى استثمار رأسمال [15] .

ب. مرحلة النضوج العلمي وتمتد من سنة 1857 إلى سنة 1883 : وهي المرحلة التي كتب فيها ماركس ((رأس المال)) و ((مساهمة في نقد الاقتصاد السياسي)) وهي

مؤلفات ذات تناول دقيق في الطرح تشهد بان ماركس قد تحرر من الايدولوجيا الألمانية لا من حيث المضمون فحسب ، بل من حيث الشكل أيضا [16] . وتشمل هذه الكتب خطة توعية للعمال وللثورة الجديدة وإبراز أهم الملابسات التي حيرت الإنسان الفقير وأدت إلى عدم تطور حالته المعاشية والمهنية أيضاً .

توتر في النص الماركسي في مواجهة التطور الرأسمالي

لحظات التوتر والارتياب

عكف ماركس طوال المدة 1857-1862 على مواصلة دراسته الاقتصادية في المنزل وكان سر هذا الاهتمام هو قول ماركس : ((الواقع أن هذا العلم لم يتقدم منذ سميث وريكاردو رغم كل ما تم في دراسات منعزلة شديدة الدقة غالباً))[17] .

كتلة من المؤلفات الاقتصادية كانت تتهاوى على فكر ماركس المرتاب، في مقابل حياته القاسية، فقد كانت تلك السنوات من أصعب السنوات التي مضاها في حياته، كان عملياً دون موارد وكان عليه مواجهة حاجات أسرة تتزايد وتتعقد [18] .

توصل ماركس في دراسته للاقتصاد الكلاسيكي إلى عدد معين من الاستنتاجات التي تكشف التناقضات الأساسية للنظام البورجوازي والمآزق التي يؤول إليها عمل نظريته، فالطبقة العاملة بما عرفته من خلال مؤلفات ماركس تستطيع الآن الاعتماد على قاعدة علمية تقيم عليها عملها الثوري [19] .

ولا يبعد أن يكون نقد الاقتصاد الرأسمالي هو الخطوة الأولى بعد النظرية لمواجهة تجربة القلق ففيها نوع من الاحتكاك بالواقع، ولن يكون بالإمكان عمل شيء ما دون التحلي بالشجاعة والتصميم القاطع فقد كتب ماركس إلى انجلز في 8 كانون الأول 1857 ، يقول: ((إني اشتغل كالمجنون طيلة الليالي في تأليف بين دراساتي الاقتصادية من اجل أن أوضح ، على الأقل ، الخطوط الكبرى قبل الطوفان)) [20] .

بدأ ماركس بوضع مدخلٍ لنقد الاقتصاد السياسي ، تاريخاً لأول مؤلفاته الأصلية، ثمرة أبحاثه الشخصية ، التي سيكون رأس المال تتويجاً لها . فأخذ يفحص المقولات الكبرى التي تبناها العلماء البورجوازيون واحدة بعد الأخرى ، يبين مواطن نقصها في الدقة ، ويلقي الضوء على علاقاتها الديالكتيكية . وبهذا يحدد الطريقة الخاصة به التي عارض فيها التصنيف المجرد لمفاهيم الاقتصاد العامة [21] . ورغم اللهجة التي تحمل إيقاع الثورة التي لمسها انجلز في كتابات ماركس ورسائله فقد أرغم ماركس على الانقطاع عن عمله وملازمة فراشة ، فقد نالت الأيام والليالي من صحته التي قضاها دون نوم والمتاعب المالية ، التي تكللت بأزمة كبدية . والسؤال الذي يمكن أن يوجه حيال هذه المواقف من حياة ماركس هو: ما الذي يرغم

ماركس على خوض هذه التجربة القاسية رغم انه خلال حركته هذه لم يصبح من أصحاب الاستثمارات المعروفين ولم يجني رأسمالاً يعينه على مواصلة طريقه ؟ هل هو طَمَعٌ في الشهرة أم هو إحساس بالمسؤولية ؟

إن إدراك حجم المسؤولية ذلك الذي لا ينهي العمل بسهولة ، إن تلك اللحظات من وعي الذات ومواجهة التراكم الكمي من تلك الأفكار المغلفة بالسلطة القيمومة عليها، ذلك الهم المعرفي والتوتر النفسي لا ينتهي إلا بتلمس واقع يقيم عليه ماركس فلسفته ، شوق للانتماء إلى الواقع الحي يخفيه ماركس تحت جوانحه ولا يفصح عنه إلا في جلساته الخاصة مع علماء الفكر الذين يغفرون للمقابل هفواته عن طريق تبريرها تبريراً منطقياً ؟ إن هذه المرحلة مرحلة الشوق الى تلمس الواقع المعاش هي مرحلة قلق وارتياب وتمزق للوصول الى المبتغى الذي يطلب من ماركس إزاحة العبارات الميتافيزيقية بعنف ظاهر والتي اسماها بالعبارات الصوفية عند علماء الاقتصاد السياسي التي كانت تثير السأم لدى ماركس عندما يبحث عن صيغة لإزاحتها .

مرحلة تأسيس الأرض الواقعية للعمال

حدد ماركس ابرز العناصر التي تحرك المجتمع نحو التطور الرأسمالي واكتشف السبل الخفية التي يلجأ إليها علماء الاقتصاد لتبرير التطور الرأسمالي تحت تأثير من الإيديولوجية البورجوازية واكتشف أن علماء الاقتصاد قد اهتموا بزاوية من الاقتصاد السياسي وأهملوا زوايا مهمة كان بإمكان البحث عنها أن يضع حدا للفوارق التي تحدث في طبقات المجتمع . وان تسد فجوة الصراع التاريخي التي تحدث بين الفقراء والأغنياء. وقد كان من شأن مواصلة البحث أن يكشف لماركس أسباب هذه الصراعات الدائمة وذلك عندما قام بدراسة تصنيفية حدد فيها ان التطور الرأسمالي قائم على ركيزتين أساسيتين هما :

1. العامل المأجور: الذي تقع عليه مسؤولية التقدم بهذا الرأسمال عن طريق بيع جهده والذي يساوي هذا الجهد عند ماركس بما للسلعة من قيمة فهو أيضا سلعة.
2. الرأسمالي المالك لوسائل الإنتاج: هو المالك أيضا لجهد العامل الذي كان من المفترض ان يشتري من العامل جهده ولكن المعادلة قد انقلبت فأصبح العامل مملوكاً من الرأسمالي . وهذا يظهر عندما نقرأ كتاب رأس المال عندما نجد

مجـاميع مـن الـوعي تـتكلم علـى لسـان مـاركس بـألوان مختلفـة مـن العبـارات والصيغ . حينما نلاحظ أن ماركس ينقسم داخل هذا الكتاب إلى قسمين:

أ. مـاركس العامـل المـأجور: وقـد امتـد على طـول صـفحات كتـاب رأس المـال وقـد تميز بالصـوت الفاضـح الـذي تظهـر على أثـره أسـرار التبـدل في المفهـوم التي تظهـر على العامـل حيـث يمـر هـذا العامـل بحسـب صـيغة مـاركس بـادوار مختلفـة مـن العبودية فـالرق فـالفلاح ثـم الأجير والعامـل . وهـذا الجانـب يمثـل صـورة مـن الانتمـاء التي يحـاول ماركس إقامة دراسته على أساسها ويقارنها بالواقع المعاش .

ب. صـياغة مـاركس للعبـارة – في تلـك اللحظـات-بأسـلوب إيقـاعي لا منتمي يبحـث عـن نقـاط الضـعف التي تقـف عرضـة إمـام تطـور العامـل وأسـباب لتطـور الرأسـمالي الخفيـة ، وقـد عثـر مـاركس على أن الأسـباب تكمـن في قضـية واحـدة ، وهي اسـتغلال العامل بصيغ مختلفة من الاحتيال من قبل أصحاب رؤوس الأموال .

إن اسـتقرار المضـمون وتغيـر الشـكل في حالـة تطـور العامـل هـو الطـابع الـذي يميـزه مـاركس في تـاريخ العامـل الخـاص، أمـا تـاريخ الرأسـمالي فهـو تـاريخ تغييـر في الشـكل والمضـمون إذ يقـول في كتابـه رأس المـال : ((إن نقطـة انطـلاق التطـور الـذي أدى إلى قيـام العامـل المـأجور ، والرأسـمالي على حـد سـواء كانـت عبوديـة العامـل ، وان التقـدم قـام في تبـدل شـكل هـذه العبوديـة في تحـول الاسـتثمار الإقطـاعي الى اسـتثمار رأسـمالي))[22] .

اتضح مـن هـذا الـنص ان مـاركس قـد حـدد الثبـات في جـوهر العامـل وربطهـا بمشـكلة تطـوره رغـم تزايـد جهـد العامـل وتطـور رأس المـال ، ونتيجـة لـذلك ظـل العامـل يتطـور على أسـاس المفهـوم فقـط متـنقلاً مـن (العبوديـة) إلى (العامـل الأجيـر) وهـو بـاقٍ في مكانـه الأول . ولنلقـي نظـرة أخـرى على أهـم الصـور التي سـيظهر بهـا العامـل خـلال التغيـرات التي تطـرأ على رأس المـال ، وهـي صـور تـدل على حالـة مـن الإبقـاء على العبوديـة فيقـول مـاركس : ((وفي تـاريخ التجميـع البـدائي تتمتـع سـائر الثـورات بأهميـة والتي كانـت بمثابـة حـافز للطبقـة الرأسـمالية التي في طريـق التشـكل، ولكـن أعظمهـا أهميـة هـي تلـك الحقبـات التي كانـت تجـرد فيهـا جمـاهير غفيـرة مـن البشـر بصـورة مفاجئـة وعنيفـة ، مـن وسـائل معيشـتهم ، ويلقـى بهـم في سـوق العمـل بوصـفهم بروليتـاريين موضـوعين خـارج القـانون . وان نـزع ملكيـة الأرض مـن المنـتج الزراعـي أي الفـلاح هـو أسـاس العمليـة كلهـا. وان تـاريخ هـذه العمليـة يتخـذ مظـاهر مختلفـة في البلدان المختلفة))[23] .

كشف ماركس في هذا النص المميز، صفات مهمة في تاريخ العامل، وهي صفات عنيفة وذات توجه قصدي همش فيها دور العامل، على أساس أن موضوعه الواقعي وضع خارج القانون وهي نقطة من التحول السلبي في تاريخ العامل الذي ظهره بمظهر الفلاح وكانت اللعبة والاحتيال القانوني آنذاك يدور حول انتزاع ملكية الأرض من الفلاح ، بل وتحويل ملكية عمله (أي قوة إنتاجه) لملكية الطبقة الرأسمالية وهذا النوع من الاستغلال عملية تخطيط لضرب المركز (أهم ما يتمتع به الإنسان) وهو امتلاكه لقوة عمله أي لشخصه لما في ذاته من قوة . لما يظهر أمام المجتمع بمظهر المالك لقوة إنتاجه، لما يحدد له من حقوق أمام القانون العام الذي يحميه من سلطة الرأسمالي.

إن جميع هذه الصفات احتال عليها الرأسمالي لكي يظهر العامل بهيئة إنسان خارج القانون أي تحويله إلى عبد لا يضمن له القانون أي حق حتى حق البقاء على حياته. لهذا السبب كان العبيد على مر التاريخ الأوروبي يُضربون ويُحرقون ويُقتلون رمياً بالرصاص . وسنلاحظ كيف سيتحول العامل بمظاهر مختلفة من العبودية نتيجة لضياع حقه في ملكية قوة إنتاجه.

فأصحاب وسائل الإنتاج من ذوي قدرة في استغلال فائض الإنتاج الذي لا يمكن أن تنتجه قوى الإنتاج بالنسبة للحد الأدنى الفردي لحياة العامل الذي حرم من ملكية وسائل الإنتاج متى بلغت قوى الإنتاج مستوى معين في نموها هي إحدى هذه الصور[24].

إزاء هذه الدراسات التي أقامها ماركس في كتابه رأس المال وكخطوة جريئة لبيان شقاء العامل داخل الاقتصاد السياسي ، حاول ماركس تحديد ثلاث صور لاستغلال الإنسان للإنسان بفرض قوانين أخلاقية خارج نطاق الحياة التي هي ملك مشاع للجميع والتي يحاول ماركس بيانها لكي يكشف المؤامرات الفكرية التي تبعد الإنسان عن حقيقة وحيدة وهي اشتراك الجميع في الحياة ، إن ماركس في دراسة الاقتصاد السياسي يحدد المناطق التي تتكتل داخلها العبارات الميتافيزيقية التي لم تستطع رغم تواجدها حل المشكلة الأساسية التي يعاني منها الاقتصاد والرأسمالي في علاقة العامل بالمنتج ، وبقاء العامل على وضعه الأول دون أن نلاحظ أي تطور في حياته الاقتصادية والاجتماعية والثقافية . إذن نحن إمام صور قد ظهر فيها العامل بمظاهر مختلفة في العنوان فقط توافق نوعية الاستغلال الذي ظهر في عصر محدد، هذه الصور هي:

الصورة الأولى: استغلال الرقيق.

الصورة الثانية: الاستغلال الإقطاعي.

الصورة الثالثة: الاستغلال الرأسمالي.

إن هذه الصور المختلفة من الاستغلال لم تكن الصدفة أو تلقائية الإنسان الفقير، هي التي قامت بتوليدها ، وإنما كانت وليدة ظروف مقاصد ونوايا ساعدت على ظهورها وتثبيتها على هيئة ثوابت صنعتها الطبيعة فكان الإنسان إن انقسم إلى غني وفقير.

الصورة الأولى: استغلال الرقيق:

ظاهرة الرق ليس نظاما اجتماعيا طبيعيا بعبارة أخرى ، أنه لم نشأ من ذاتية المجتمع وإنما أوجده النضال والحرب من اجل الحصول على الأرقاء أي تسخير اسري الحرب ولهذا كان هذا النظام منذ بدايته حتى نهايته مسرح نضال طبقي مرير [25].

((إن ملكية سيد الأرقاء لوسائل الإنتاج وللعمل هي أساس علاقات الإنتاج، وهي تتفق مع حالة قوى الإنتاج، إذ يمكن للرقيق وهو أسير الحرب القديم، أن يشترى ويباع ويقتل كالحيوان)) [26] . وهذه تمثل صورة أظهرها ماركس وغفل عنها علماء الاقتصاد السياسي ، الذين اهتموا بالكيفية التي تطور فيها المجتمع الرأسمالي ، وهذه الكيفية قد غطت جوانب مهمة وهي القوى التي ساعدت على هذا التطور وكيف سخّر هذه القوى ، وما هو القانون الذي ضمن لهذه القوى الحق في الحياة . إن ماركس يقارن بين واقع الحياة وواقع الكتابات . فهو مرتبط أثناء القراءة بالحياة ولا يغيب عنه ذلك الشعور بمفاصل الحياة ومن أهمها حياة الإنسان. من هنا يظهر الشعور بشقاء الحياة ، عندما يكون القانون عقبة أمام حرية الحياة ، عندما يكون القانون سجناً توضع فيه الحياة وهذا هو واقع الكتابات والمفاهيم التي تمثل أقفاصاً فكرية لصور الحياة . وإذا كان ليس من حق الإنسان الرقيق تملك قواه فما هذا الشعور الذي يندفع منه عندما يشعر بالاستغلال شعوراً قوياً، فهو يرى أن كل ثمرة عمله يستولي عليها سيده، فلا يبقى له سوى جزء ضئيل يناله في صورة غذائه [27] .

الصورة الثانية: الاستغلال الإقطاعي

ظهر النظام الإقطاعي وتطور بعد انهيار نظام الرق، وكنتيجة ضرورية للحروب التي نشبت بين البرابرة وبين الدولة الرومانية، وكان نضال البرابرة ضد الدولة الرومانية نضالاً ضد استعبادهم. وقد أصبح نظام الرق نفسه بعد هذه الحروب مناقضاً لطابع قوى الإنتاج ، فكان لابد من علاقات إنتاج جديد لبناء الاقتصاد من جديد

هذه العلاقات قد نمت على أنقاض عهد الرق فظهر على إثرها النظام الإقطاعي [28] . هنا سيلاحظ ماركس كيف تحول الرق في نظام استغلال الرقيق إلى عامل قن في تطور هذا النظام الإقطاعي .

نتج النظام الإقطاعي من تطوراً في الملكية الخاصة وان ميزة هذا النظام هو ملكية السيد الإقطاعي لوسائل الإنتاج ، وكذلك ملكيته المحددة للعامل القين ومثل أنه يستطيع بيعه وشراءه ، أما التغير الذي حصل فهو أنه لم يعد بإمكانه أن يقتله[29].

وما كان هذا نابعاً من فعل قانون حدد سلطة الإقطاعي بل بفعل التطور الحاصل في المجتمعات، وكذلك حاجة الإقطاعي للعامل القين تكون أكثر، إذ يساعده على توسيع إنتاجه. إذن كانت الحاجة هي سبب التغير الحاصل من قبل الإقطاعي باتجاه القين.

إن عملية الإبقاء على حياة العامل في ظروف النظام الإقطاعي - وهذا ما لاحظه ماركس – كانت من آثارها أن استطاع العامل أن يكون له عائلة بما يملكه من اجر محدود يكفيه يومه.

وعلى الرغم من هذا التغيير في العلاقة بين العامل وبين الإقطاعي ، بقي جوهر الاستغلال كما هو ، فجوهر الاستغلال هنا يقوم على أن السيد الإقطاعي يستولي بصفة خاصة على فائض إنتاج القين ، كأن يعمل القين مثلا ، ثلاثة أيام لنفسه وثلاثة أيام للسيد ولا يكاد الاستغلال يقل بالنسبة لعصر الرق ، كما ان كلمة (قين) نفسها مشتقة من لفظ لاتيني يعني (الرقيق) [30] .

كانت الانعكاسات السلبية التي ظهرت كرد فعل طبيعي ضد هذا النوع من الاستغلال وضد الضوابط الإقطاعية، تتمثل في ظهور بوادر النضال البدائي كالهرب من منطقة السيد وتنظيم عصابات في الغابات والقيام بثورات لمحاولة القضاء على السجلات التي سجل عليها السيد ما يتوجب عليه [31] .

إن قراءة حية لتاريخ العامل والصور التي ظهر فيها جعلت ماركس يكتشف منطقة الصراع والزمن الذي يحتوي على اكبر تناقض عالمي تم بين الإقطاعيين والقيون ، وان هذا التناقض يتسع كلما تقدم الزمن واتسعت الفجوة أي تطور الإنتاج بين العامل والإقطاعي داخل دائرة واحدة تحتويهما . كان استمرار التناقض هذا أن أدى إلى تصدع النظام الإقطاعي الذي بقي مهتما بنضاله ضد القين .

الصورة الثالثة: الاستغلال الرأسمالي البورجوازي

كان للتناقض الذي حل في علاقات الإنتاج الإقطاعي ونموه بصورة سريعة ، ظهرت في المدن حوالي القرن الثاني عشر بفضل تقدم المهن الذي يسره نظام القين نفسه

ظـواهر جديـدة ، فقـد ظهـر فـائض الإنتـاج في السـوق ، ومـن هنـا نشـأت الأسـواق ونشـأت معهـا طبقـة تخصصـت في بيـع السـلع وشـرائها ، وهـؤلاء هـم التجـار طلائـع البورجوازية [32] .

إن انطـلاق البورجوازيـة هـذا مصـدر الحركـة المسـماة بـ(الكومنال) [*] وهـي طبقـة البورجوازية الصغيرة التي ناضلت ضد النظام الإقطاعي في أواخر عهده [33] .

هـذه الفتـرة مـن النضـال أظهـرت ضـعف الاقتصـاد الإقطـاعي نتيجـة تطـور الطبقـة البورجوازية الكبير الذي يفوق قدرة الاقتصاد الإقطاعي .

أن أكثـر مـا كـان يهـم مـاركس مـن هـذا الوصـف لتطـور الإنتـاج الرأسـمالي خـلال هـذه الفتـرة، هـي حالـة العامـل الـذي لا تسـري عليـه قـوانين هـذا التطـور ولـم يكـن هـذا مرتبطـاً بالحالـة الطبيعيـة لحيـاة العامـل ، وإذا كـان كـذلك فانـه بنظـر مـاركس ضـرب مـن الميتافيزيقـا اللامعقـول أن يبقـى الإنسـان على مـر العصـور على حالتـه الأولى التي انطلـق منهـا رغـم التطـور في الإنتـاج الرأسـمالي والـذي صـاحبه تطـور في الإنتـاج والاسـتهلاك ونشـوء الأسـواق وحلـول حركـة التجـار، إن مـاركس يوجـه نقـده الـلاذع ضـد هـذا التفسـير الـذي سـكت عـن الكـلام حـول الحالـة الثابتـة لوضـعية العامـل التي لا تتناسب مع حالة تطور الإنتاج .

يجـرد مـاركس الموضـوعات المتكـررة في ذهنـه ويحـاول الـتخلص منهـا لكـي لا تشـوب تحليلاتـه الحاضـرة حـول حركـات الإقطـاع البورجـوازي، فـإذا تكلـم على التطـور فانـه يـتكلم على تطـور الإقطـاع والبورجوازيـة، فالـذي يخـص الطبقـة البورجوازيـة فـإن التطـور يتحقـق في أن السـيد يطلـب بـدلا مـن عتـق القـين حقوقـاً تـدفع عينـاً . وكـذلك اشـترى البرجوازيـون بالطريقـة نفسـها حقوقـاً سياسـية مختلفـة كبنـاء الأسـوار حـول مـدنهم وسـك العملـة وبنـاء السـجون وتكـوين ملشـيا حربيـة وإقامـة مركـز بلديـة [34] .

فتكونـت مـن اثـر ذلـك التطـور ثـروات ضـخمة نتيجـة الاكتشـافات الكبـرى في نهايـة القـرن الخـامس عشـر ، وكانـت تهـدف للاسـتيلاء علـى الـذهب ، فارتفعـت الأسـعار وأفلـس الأسـياد وأصـبحت العـائلات البورجوازيـة الكبيـرة ملـوك العصـر الـذين يملكـون سلطة يحسب لها ألف حساب [35] .

وبسـبب تكـدس رؤوس الأمـوال وازدهـار التجـارة تـم الانتقـال مـن الصـناعة اليدويـة إلى التجارة ومن التجارة إلى المصانع .

هـذه الأحـداث التي رافقـت هـذه التطـورات والتحـولات السـريعة مـن النظـام الإقطـاعي إلـى النظـام البورجـوازي تمثـل الجانـب اللامنتمي مـن اهتمـام مـاركس ، ان اهتمـام مـاركس كـان ينصـب على صـعود طبقـة العمـال إلى مسـتوى هـذا التطـور ، كي تواكـب

حركة تطور المجتمعات ، ولكنه يلاحظ في تكوين الاقتصاد السياسي إغفال وإقصاء مكانة العامل الذي بني الاقتصاد الرأسمالي على جهده المبذول .

حلت البورجوازية الصناعية التي ظهرت وسط المجتمع الإقطاعي بوصفها مرحلة حديثة محل القرون الوسطى التي استطاعت إيجاد علاقات جديدة للإنتاج تمتاز باستغلال الرأسمالي لبروليتاريا مأجورة وقد تكونت هذه البروليتاريا من الفلاحين المفلسين بعد إن طردوا من أراضيهم ، ومن الصناع اليدويين الذين قضت عليهم المضاربة، ومن مرتزقة الإقطاعيين الذين لا عمل لهم ، ومن جميع الذين يفرون من الاضطهاد الإقطاعي فقد كانوا أحرارا ولكنهم جميعا لا يملكون وسائل الإنتاج، فاضطروا كي لا يموتون من الجوع إلى بيع قوتهم العملية إلى البورجوازية [36].

إن ماركس ينتبه إلى هذه النقطة بالذات ، أي ما يفرزه المجتمع القائم على إقصاء الإنسان من فقراء تجرهم الحاجة إلى التنازل عن كرامتهم وبيع قوتهم مقابل غذاء يومي يسد جوعهم.

وكنتيجة مهمة توصل إليها ماركس، فإن الفائض الذي يعول عليه علماء الاقتصاد السياسي في دراساتهم ، هو الجهد المسروق من جراء بيع العامل قوته بثمن زهيد جدا هو ما يساوي قوته اليومي وليس مسالة تطور الإنتاج الرأسمالي قائمة في نجاحها على شيء إلا على الاحتيال وإجبار العامل على العمل وبيع قوته الإنتاجية في جميع المراحل التي تكون فيها الإنتاج الرأسمالي .

إذن فما حصل من تطور في المجتمع البورجوازي هو أن ملكية المنتجين والعمال قد زالت لأنهم تحرروا من كل ارتباط شخصي ، بيد أنهم محرومون من وسائل الإنتاج فالحرية التي نادت بها الرأسمالية هي حرية التجارة والأعمال بالنسبة للرأسمالي، أما حرية امتلاك البروليتاري لوسائل الإنتاج فهي أمر غير جائز. ويوضح ماركس بهذا الصدد الجديد من استغلال الرأسمالية للبروليتاري : وهي تقسيم العمل اليومي على عمل يومي ضروري وعمل يومي بلا أجر. وكان أن يخفي الرأسمالي هذا الأمر – أي العمل المجاني – حين يدفع اجر العامل في نهاية اليوم بعد انتهاء العمل المطلوب ، فيضطر البروليتاري كي لا يموت من الجوع الى العمل طوال الوقت المحدد كي ينال أجره [37].

فمن الناجية النظرية يوجد امتلاك رأسمالي خفي، ولكنه يأخذ صورة تملك خاص للعمل غير المأجور ، غير أن البروليتاري لا يكشف مباشرة سر هذا الاستغلال، خيل إليه انه قد دفع إليه اجر كل عمله عند نهاية اليوم . ولو حاولنا إجراء مقارنة بين الرقيق في عهد الإقطاعية والبروليتاري في عهد البورجوازي نجد أن صور الاستغلال

تختلف فنجد أن العامل الرق يملك منتوجات اقتصاده الخاص وانه يعرف انه يعمل عددا من الأيام بلا أجر في خدمة سيده . أما البروليتاري العصري فهو لا يملك شيئاً سوى حريته أي قدرته على بيع قوته على العمل وينال غذاءه من سيده وان الرأسمالي يعطي للبرولتياري في صورة اجر ضروري مما يحتاجه في غذائه وربما عاد فاستولى على كل هذا الأجر في مستودع الأغذية أو عند دفع أجره السكن ، فالرأسمالية هي إذن العبودية المأجورة. وانه إن حاول المؤرخ أن يضع تاريخاً للعامل فانه لا يجد وسيلة ليصف هذا التطور لأنه إذا حاول أن يقول فانه يقول هو تاريخ عبودية العامل . تلك هي أهم نقطة يحاول ماركس أن يوضحها وهي ان يضع تاريخاً جديداً للعامل عندما يعي العامل ما يدور حوله [38] .

إن فن مواجهة الفيلسوف للحياة لا تخرج عن ضروب ذلك الشقاق والتمزق لأنها عودة إلى الحياة الأصل بعد تفريغ محتوى الذاكرة من أوهام الميتافيزيقا وحيث تضع عملية تفريغ الذاكرة هذا الفيلسوف في مواجهة مباشرة للحياة تظهر علامات التمزق والقلق والتخلي عن الأحلام الميتافيزيقية ، والنتيجة أن يحاول الفيلسوف إعادة حساباته في النظر إلى الحياة نظرة شعور ممزق وان يحاول أن يؤرخ لهذه العودة بمفاهيم واقعية بعد تصفية فكرة من المفاهيم الميتافيزيقية .

إن صور القراءات المختلفة لماركس الشاب، الفيلسوف، العامل ، قد تعددت أثناء كتاباته فقد ظهر بمظاهر مختلفة وان أردنا معرفة تاريخ العامل فهو محفوظ في ذاكرة ماركس وكتاباته ، هو تاريخ مفاهيم قد بدأ بالرق والقين والعبد والعامل المأجور والبورليتاري .. الخ. إن ماركس في أواخر كتاباته اخذ ينتهج أسلوبا ثوريا أخذت نغمات الكلمات الأدبية التي تميز بها تتحول إلى خطاب يهز المشاعر فهو يقول : ((ما كان يمكن للبرولتياريا التي نشأت عن انفضاض جماعات الأتباع للإقطاعيين والإبعاد القسري عن الأرض ، ما كان يمكن لهذه البروليتاريا الحرة أن تستوعبها المانيفاكتورات [*] الحديثة النشوء بمثل السرعة التي كانت تتقاطر بها على الدنيا.. وان هؤلاء الناس من جهة ثانية وقد جرفوا بصورة مباغتة بعيدا عن أسلوب حياتهم المألوفة ، ما كانوا يستطيعون أن يتكيفوا على مثل تلك الصورة المباغتة مع صرامة حياتهم الجديدة ، ولقد كانوا ينقلبون بصورة جماهيرية إلى متسولين ، ولصوص ومشردين نتيجة ميولهم من جهة ، ولكن بسبب من ضغط الظروف في معظم الحالات . ومن هناك كان ذلك التشريع الدامي ضد التشرد في أوروبا الغربية في نهاية القرن الخامس عشر وطوال القرن السادس عشر ، فأسلاف الطبقة

العاملة الحاضرة قد عوقبوا لتحولهم القسري إلى مشردين ومعوزين ، وكان التشريع يعاملهم كمجرمين بمحض إرادتهم)) [39] .

تعد هذه الوثيقة من أهم الوثائق التي احتفظ بها ماركس وهي تاريخ مزيف أظهره ماركس على صفحات رأس المال التي كشفت للمجتمعات الغربية ان التاريخ لم يكتب من جميع الزوايا بل كتب من زاوية واحدة وانه لا يكفي ان تظهر الحياة من هذه الزاوية . وانه لا يمكن اكتشاف هذه الحياة إلا بالشقاء فيها . كانت صور الشقاء تتقلب أمام ماركس الذي عانى هو الآخر ذلك التدهور في حياته المعاشية.

إن حياة ماركس – الإنسان- هي أنموذج من هذا الشقاء الذي عاناه العامل المأجور. خصوصاً عندما يذكر ماركس في إحدى رسائله التي كتبها إلى انجلز في 21 كانون الثاني 1859 يقول فيها : ((لقد انتهت المخطوطة التعسة ولكني لا استطيع إرسالها لأني لا املك دانقاً لوضعها في البريد والتأمين عليها ... ولذلك أرى نفسي مرغماً على أن أرجوك أن ترسل إلي قليلاً من النقود حتى يوم الاثنين ، ويضيف ماركس بسخرية مريرة قائلا: لا اعتقد أن أحدا قط قد كتب عن المال وهو يفتقر إليه مثل هذا الافتقار ، فمعظم المؤلفين الذين عالجوه كانوا على وفاق عميق مع موضوع أبحاثهم)) [40].

إن رؤية ماركس نحو تحقيق مجتمع شيوعي تنتفي فيه جميع الفوارق الطبقية، لم تتحقق. وان محاولته هذه لاكتشاف أسباب التدهور في حياة الشعوب كانت تنصب داخل شعورٍ ممزقٍ تجاه ما يحدث ولأن تفكيره كان يتجه نحو تمزيق جميع القواعد الفكرية التي ارتكز عليها الاقتصاد السياسي ، ولان مرحلة النقد هي مرحلة تسبق التفلسف لأنه لا يتم التفلسف إلا بعد كشف الحجب الكثيفة التي تغطي على واقعية الحياة ولأن ماركس لم يحقق في عصره ذلك المجتمع الذي كان يرنوا إليه لكي يكون البداية الأصلية للتفلسف ، فانه لم يكن فيلسوفا بقدر ما كان شعوراً إنسانيا شقياً وأداتا نقدية تاريخية مهمة أسس فيما بعد لمرحلة التفلسف للأجيال التي ظهرت بعده.

الخاتمة

لم يكن ماركس يفكر في قراءة جديدة لرأس المال في مرحلة شبابه ، لأنه كان آنذاك متأثرا بالاديولوجيا الألمانية، ولكن نتيجة تطور الأوضاع، وظهور علوم جديدة تدعو إلى قراءة واقعية للطبيعة والكون، أدرك ماركس أن المعرفة التي تحصل عليها لا تعبر عن الواقع ، أو ما أطلق عليه ماركس _ عن ما هو خارج الدماغ _ وإنما كانت تلك المعرفة نابعة من فلسفات الحضور، قراءات لذوات ميتافيزيقية

سابقة عملت على إقصاء الواقع من مجال معرفتها، وفصل الذات المفكرة عن مباشرة العالم، هذا الأمر، قدر لماركس أن يقيم تمييزا جديدا للمعرفة بين أفكرنا عن الواقع وبين الواقع نفسه ، بعد قرار انفصاله عن كل ما هو ماضي من الأفكار التقليدية السائدة آنذاك.

إن ذلك التمييز أعطى لماركس تجربة جديدة وقرار للانفصال عن جميع الفلسفات الميتافيزيقية ، والأفكار المنتشرة في الأديولوجيا الألمانية، واتجه نحو قراءة الواقع بعين جديدة ، وكأنه يراه لأول مرة، مما جعل قراءته لرأس المال قراءة علمية تعتمد على تبني العلوم الطبيعية التي ظهرت في عصره، والتي ساهمت بشكل كبير في معالجة المشاكل الاقتصادية الكبيرة التي تبنتها الاديولوجيا الألمانية من الاقتصاد الانكليزي وأفكار آدم سميث وريكاردو.

شخّص ماركس في قراءته لرأس المال الإنكليزي أنواع الاستغلال التي مارسها أصحاب رؤوس الأموال ضد العمال، وسرقة جهودهم تحت مفهوم اقتصادي شبحي وهو مفهوم فضل القيمة، وكان ذلك المفهوم متسترا على مشاكل اقتصادية كبيرة جدا أهمها سرقة جهدا العامل لمصلحة أصحاب رؤوس الأموال، استمرت لعقود سحيقة من تاريخ العالم.

هوامش البحث

---

(1) إبراهيم زكريا ، مشكلة البنية ، سلسلة (مشكلات فلسفية) ، مكتبة مصر ، القاهرة ، بلا ط، 1976 ، ص201 .

(2) المصدر نفسه ، ص201 .

(3) المادية الديالكتيكية ، تأليف جماعة من الأساتذة السوفيت ، نقله عن الروسية فؤاد مراعي واخرون ، دار الجماهير ، دمشق ، بلا ط ، بلا .ت ، ص53 .

(4) ينظر: المصدر نفسه ، ص54 .

(5) ينظر: التوسير، لويس (واخرون) ، قراءة رأس المال ، ترجمة تيسير شيخ الارض ، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ، ج1 ، ط1 ، 1972 ، ص144-145 .

(6) ينظر: لويس التوسير، قراءة رأس المال ، ج1 ، ص126 .

(7) ينظر: المصدر نفسه ، ص55 .

(8) ينظر: المصدر نفسه ، ص54 .

(9) لويس التوسير، قراءة رأس المال ، ص54 .

(10) المصدر نفسه ، ص56 .

(11) ينظر: كريستوفر نورس ، التفكيكية النظرية والتطبيق ، ترجمة رعد عبد الجليل جواد ، دار الحوار للنشر والتوزيع ، اللاذقية – سوريا ، ط2 ، 1996 ، ص87 .

(12) كارل ماركس ، بؤس الفلسفة ، ترجمة اندريه يازجي ، دار اليقظة العربية ودار مكتبة الحياة ، سوريا – لبنان ، 2 ، 1967 ، ص185 .

(13) ماركس، كارل ، البيان الشيوعي ، دار التقدم ، موسكو ، الاتحاد السوفيتي ، بلا ط ، 1970 ، ص57-58 .

(*) السيد (تيير) هو ادولف تيير مؤرخ بورجوازي وسياسي فرنسي جلاد كمونه باريس (1797-1877) .

(14)ماركس، كارل ، أصل رأس المال ، دار التقدم ، موسكو الاتحاد السوفيتي ، 1970 ، ص3-4 .

(15) ينظر: أصل رأس المال ، ص7 .

(16) ينظر: مشكلة البنية ، ص202 .

(17)ماركس، كارل ، اسهام في نقد الاقتصاد السياسي ، ترجمة انطوان حمصي ، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ، بلا ط ، 1970 ، ص6 .

(18) ينظر: كارل ماركس ، اسهام في نقد الاقتصاد السياسي ، ص6 .

(19) ينظر: المصدر نفسه ، ص8 .

(20) المصدر نفسه ، ص8 .

(21) ينظر: المصدر نفسه ، ص9 .

(22) ماركس ، رأس المال (تطور الانتاج الرأسمالي (2)) ، دار اليقظة العربية للتاليف والترجمة والنشر ، دمشق – سورية ، الكتاب الأول ، بلا ط ، 1958 ، ص239 .

(23) ماركس ، رأس المال (تطور الانتاج الرأسمالي (3)) ، دار اليقظة العربية للتاليف والترجمة والنشر ، دمشق – سوريا ، الكتاب الأول ، بلا ط ، 1959 ، ص239-240 .

(24) ينظر: جورج بولتيزر (وآخرون) ، أصول الفلسفة الماركسية ، تعريب شعبان بركات ، منشورات المكتبة العصرية صيدا – بيروت ، ج2 ، بلا ط ، ص68-69 .

(25) ينظر: اصول الفلسفة الماركسية ، ج2 ، ص69 .

(26) المصدر نفسه ، ص69 .

(27) ينظر: المصدر نفسه ، ص70 .

(28) ينظر: اصول الفلسفة الماركسية ، ج2 ، ص71-72 .

(29) المصدر نفسه ، ج2 ، ص71-72 .

(30) ينظر: المصدر نفسه ، ج2 ، ص72 .

(31) ينظر: اصول الفلسفة الماركسية ، ص73 .

(32) ينظر: المصدر نفسه ، ص76 .

(*) الكومونال : وهي أول صورة لنضال البورجوازية الطبقي ضد الاقطاعيين وهي ما تسمى بالبورجوازية الصغيرة التي مارست الصناعة اليدوية ثم التجارة .

(33) ينظر: المصدر السابق ، ج2 ، ص76 .

(34) ينظر: أصول الفلسفة الماركسية ، ص76 .

(35) ينظر: المصدر نفسه ، ج2 ، ص77 .

(36) ينظر: أصول الفلسفة الماركسية ، ج2 ، ص71 .

(37) ينظر: المصدر نفسه ، ص91 .

(38) ينظر: اصول الفلسفة الماركسية ، ج2 ، ص92 .

(*) المانيفاكتورات ، هي المجتمعات الصناعية الكبرى .

(39) كارل ماركس ، رأس المال الكتاب الأول (3) ، ص267 .
(40) ماركس ، اسهام في نقد الاقتصاد السياسي ، ص17 .

قائمة المصادر

إبراهيم، زكريا ، مشكلة البنية ، سلسلة (مشكلات فلسفية) ، مكتبة مصر ، القاهرة ، بلا ط، 1976.

التوسير، لويس (واخرون) ، قراءة رأس المال ، ترجمة تيسير شيخ الارض ، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي ، دمشق ، ج1 ، ط1 ، 1972

جورج بولتيزر (وآخرون) ، أصول الفلسفة الماركسية ، تعريب شعبان بركات ، منشورات المكتبة العصرية صيدا – بيروت ، ج2 ، بلا ط.

كريستوفر نورس ، التفكيكية النظرية والتطبيق ، ترجمة رعد عبد الجليل جواد ، دار الحوار للنشر والتوزيع ، اللاذقية – سوريا ، ط2 ، 1996.

ماركس، كارل ، اسهام في نقد الاقتصاد السياسي ، ترجمة انطوان حمصي ، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي ، دمشق ، بلا ط ، 1970.

ماركس، كارل ، أصل رأس المال ، دار التقدم ، موسكو الاتحاد السوفيتي ، 1970.

ماركس، كارل ، بؤس الفلسفة ، ترجمة اندريه يازجي ، دار اليقظة العربية ودار مكتبة الحياة ، سوريا – لبنان ، ط2 ، 1967.

ماركس، كارل ، البيان الشيوعي ، دار التقدم ، موسكو ، الاتحاد السوفيتي ، بلا ط ، 1970.

ماركس ، كارل، رأس المال (تطور الانتاج الرأسمالي (2)) ، دار اليقظة العربية للتاليف والترجمة والنشر ، دمشق – سورية ، الكتاب الأول ، بلا ط ، 1958.

ماركس ، رأس المال (تطور الانتاج الرأسمالي (3)) ، دار اليقظة العربية للتاليف والترجمة والنشر ، دمشق – سوريا ، الكتاب الأول ، بلا ط .

المادية الديالكتيكية ، تاليف جماعة من الاساتذة السوفيت ، نقله عن الروسية فؤاد مراعي واخرون ، دار الجماهير ، دمشق ، بلا ط.

List of Sources

1. Al-Tusir, Lewis (and others), Reading the Capital, translated by Tayseer Sheikh Al-Ard, Publications of the Ministry of Culture and National Guidance, Damascus, Volume 1, i 1, 1972,
2. Christopher Noris, Deconstruction Theory and Practice, translated by Raad Abdel Jalil Jawad, Dar Al-Hiwar for Publishing and Distribution, Ladakia – Syria 2nd Edition, 1996.
3. Dialectical materialism, authored by a group of Sugite professors, quoted from the Russian Fouad Marai and others, Jamahir House, Damascus, the court .
4. George Bullenbizer (and others), The Origins of Marxist Philosophy, Arabization of Shaaban Barakat, Publications of the Modern Library Saida - Beirut
5. Ibrahim, Zakaria, The Problem of Structure, Series (Philosophical Problems), Library of Egypt, Cairo, royal court, 1974.
6. Karl, Capital (The Evolution of Capitalist Production (2), Dar Al-Yaqza Al-Arabiya for authoring, translation and publishing, Damascus - Syria, Book One, Blat: 1958.
7. Marx, Capital (Perception of Capitalist Production (3) Dar Al-Yaqza Al-Arabiya for authoring, translation and publishing: Damascus - Syria, Book One, royal court.
8. Marx, Karl, Contribution to Criticism of Political Economy, translated by Antoine Homsi, Publications of the Ministry of Culture and National Guidance, Damascus, Balat, 1970.

9. Marx, Karl, The Communist Manifesto, Progress House, Moscow, Soviet Union, Marx's court,
10. Marx, Karl, The Misery of Philosophy: Translated by Andrei Yazigi, Dar Al-Fazh Al-Arabiya and Al-Hayat Library House, Syria - Lebanon, 2nd Edition, 1967.
11. Marx, Karl, The Origin of Capital, Progress House, Moscow, Soviet Union, 1970.

Mechanisms of Reading the Capital Between The Illusion of Thought And Contact With Reality (A Study of Reading Marx's Philosophy)

Dr. Muhammad Hato Aziz

College of Arts -University of Baghdad

mohammed.h@coart.uobaghdad.edu.iq

Keywords: capital. thought. Marx's philosophy

Summary:

On the ruins of the English capital of Adam Smith and Ricardo, Marx had been established a new reading of Capital .The new reading of Capital was characterized by realizing some of the cognitive angles that were hidden from the English economists, and this reading of Marx was characterized by tracking and discovering the cognitive authority that permeates within the text. Which worked on codifying, limiting and excluding what must be said about the reality of capital, and the credit for this discovery and development in the reading of capital is due to Marx's influence on the natural sciences, which lifted the veil of survival under the influence of ideologies and metaphysical ideas. Not the actual reality.